

## إسبانيا في الماضي والمغرب في المستقبل



## الصبر المغربي لا يعني ضعفا

إسبانيا إلى نفسها. قد يكون التفسير الوحيد للسلوك الإسباني، ذلك الماضي الاستعماري لهذا البلد الذي لا يريد إدراك أن المغرب بلد مسلم يتطلع إلى المستقبل ولا يسعى سوى إلى استعادة وحدته الترابية سلماً.

هل ندرك إسبانيا أن لغة الحوار مع المغرب، بدل اللجوء إلى التحدي والاستفزاز، كغفلة بحل أي مشاكل قائمة، هذا إذا كانت في الأصل مشاكل مصدراها المغربي.

هذه القوى إلى أيام الاستعمار. لا تدري هذه القوى أن المرحلة التي كانت فيها إسبانيا دولة استعمارية ولت إلى غير رجعة.

من هذا المنطلق، ليس عيباً أن تدعم إسبانيا المغرب وأن تستفيد من تجربته في الانفتاح على أفريقيا بدل خلق مشاكل لا أفق لها تصب في استرضاء نظام حاقد هو النظام الجزائري الذي اقتلع قضية غير موجودة هي قضية الصحراء من منطلق أنه لا يفكر إلا في كيفية إيذاء المغرب وإبزازها.

من المستغرب تصرف دولة محترمة مثل إسبانيا بالطريقة التي تصرف بها تجاه المغرب. لا وجود لتفسير منطقي للسلوك الإسباني تجاه المغرب سوى البحث عن كل ما يمكن أن يسيء إليه. في الواقع، تسيء

لا شيء يمنع المغرب من الرد على أي استفزاز يتعرض له، خصوصاً أنه يمتلك وسائل الرد. فالصبر المغربي لا يعني ضعفاً، بل يعني حكمة قبل أي شيء آخر، حكمة تحلّي بها الملك محمد السادس منذ صعوده إلى العرش صيف العام 1999. أظهرت تجارب الماضي أن الحكمة من أركان السياسة المغربية التي سمحت باستعادة الصحراء سلماً في ظل إجماع شعبي على تحويل هذه القضية المرتبطة بتوحيد التراب الوطني إلى قضية وطنية.

لا شك أن الأزمة المغربية - الإسبانية أزمة عميقة. ليست استضافة إسبانيا لإبراهيم غالي سوى رأس جبل الجليد في هذه الأزمة التي في أساسها وجود قوى في الداخل الإسباني تسعى للانتماء إلى الماضي. فهناك حنين لدى

ارضه (سبته ومليلية). تفهم المغرب دائماً الوضع الإسباني ووجود جبل طارق، الذي هو أرض إسبانية تحت السيادة البريطانية.

سعى المغرب إلى تفادي أي مشاكل مع إسبانيا التي لم ترد في الماضي في استفزازه بكل الوسائل المتاحة، بما في ذلك إثارة موضوع جزيرة ليلى المغربية، في أثناء تولي اليمين حوسيه ماري أثار رئاسة الحكومة بين 1996 و 2004. لم ينفعل المغرب. على العكس من ذلك، ترك إسبانيا تهدأ. هدأت إسبانيا بالفعل بعدما خلف الاشتراكي حوسيه لويس ثاباتيرو في العام 2004 الاشتراكي حوسيه ماري أثار الذي لم يتردد في إحدى المرات بالطلب من المسلمين الاعتذار بسبب احتلالهم إسبانيا. وكان يشير بذلك إلى مرحلة الوجود العربي في الأندلس!

عليها إقامة علاقة متوازنة مع جار مهم مثل المغرب من جهة أخرى. ليس معروفاً بعد ما هي مشكلة إسبانيا مع المملكة المغربية، لكن اللافت أنها

متضايقة من أن المغرب استطاع تحقيق إنجازات على صعد مختلفة في السنوات الـ 22 الماضية. توجت هذه الإنجازات باعتراف أميركا بمغربية الصحراء التي كانت في الماضي مستعمرة إسبانية. هل الحنين إلى الماضي الاستعماري وراء التصرفات غير المنطقية لإسبانيا في تعاطيها مع المغرب؟

واضح أن إسبانيا، عبر استقبال زعيم جبهة "البوليساريو"، التي ليست سوى أداة جزائرية، انضمت إلى جوقة المبتززين للمملكة المغربية التي أثبتت دائماً أنها دولة مسالمة تسعى إلى استرداد حقوقها الطبيعية بعيداً عن أي نوع من العنف. يظل أفضل دليل على ذلك "المسيرة الخضراء" التي أعادت الصحراء إلى المغرب بالوسائل السلمية.

زحف 350 ألف مغربي في تشرين الثاني - نوفمبر من العام 1975 في اتجاه الصحراء بغية استعادة تلك الأرض التي بقيت طويلاً مستعمرة إسبانية. لم يطلق المغرب رصاصة واحدة من أجل استعادة أرضه. جاءت "المسيرة الخضراء" التي دفع في اتجاهها الملك الحسن الثاني، رحمه الله، في وقت كانت إسبانيا تتطلع إلى المستقبل.

في العشرين من تشرين الثاني - نوفمبر 1975، توفّي الجنرال فرانكو الذي حكم إسبانيا وأقام نظاماً دكتاتورياً ابتداء من العام 1938. جاءت "المسيرة الخضراء" في وقت كانت إسبانيا تتطلع إلى المستقبل وإلى الانفتاح على محيطها وعلى العالم. كان الانسحاب من الصحراء الغربية وإعادتها إلى أصحابها بالتفاهم مع موريتانيا أيضاً، جزءاً من هذا الانفتاح الذي عبّرت عنه استعادة الملك خوان كارلوس للعرش وبدء مرحلة جديدة من تاريخ إسبانيا في ظل نظام ديمقراطي حقيقي مهدّ عملياً لدخولها الاتحاد الأوروبي ولعب دور نشط وفعال أوروبياً ودولياً.

ليس طبيعياً استفزاز المغرب الذي راعى إسبانيا إلى أبعد حدود وحافظ على أمر واقع كان مفترضاً أن يتمرد عليه بسبب وجود جيبيين إسبانيين في

خير الله خير الله  
إعلامي لبناني

ليس استقبال إسبانيا زعيم "البوليساريو" إبراهيم غالي وإدخاله أحد مستشفياتها بهوية مزوّرة سوى تعبير عن خفة في التعاطي السياسي مع موضوع في غاية الأهمية هو العلاقة بين مدريد والرباط. استقبلت إسبانيا شخصاً مطلوباً من العدالة فيها، لا لشئ سوى لإظهار تضاييقها من المغرب الذي لم يتوقف في السنوات الأخيرة عن تحقيق تقدم على كل المستويات، خصوصاً على صعيد تأكيد مغربية الصحراء.

لم تستطع إسبانيا، المتمسكة بملفات الماضي الاستعماري وتذكرياته، استيعاب أن العلاقة الطبيعية، أي العلاقة الخالية من العقد، مفيدة للبلدين، خصوصاً أن المغرب ينظر إلى المستقبل وإلى جس، تحت المياه أو فوقها يربط بين البلدين اللذين لا تفصل بينهما بحراً سوى كيلومترات قليلة. مثل هذا الجسر، يجعل من إسبانيا إحدى بوابات المغرب إلى أوروبا ويجعل من المغرب بوابة إسبانيا إلى أفريقيا، خصوصاً في ظل الاختراقات التي لا تخفى على أحد والتي حققتها المملكة المغربية في السنوات الأخيرة في ظل قيادة الملك محمد السادس في مختلف أنحاء القارة السمراء.

لا شيء يمنع المغرب من الرد على أي استفزاز يتعرض له، خصوصاً أنه يمتلك وسائل الرد. فالصبر المغربي لا يعني ضعفاً، بل يعني حكمة قبل أي شيء آخر، حكمة تحلّي بها الملك محمد السادس منذ صعوده إلى العرش

يظل السؤال لماذا ذهبت الحكومة الإسبانية إلى هذا الحد في تحدي المغرب؟ يعود الجواب بكل بساطة إلى أن إسبانيا لم تستطع التخلي عن عقلية الهيمنة من جهة ولم تقتنع بأن

## الانتخابات العراقية القادمة وخصومها

فلو دققنا في نتائج انتخابات 2010 والتي قبلها 2005، لأصبح من الثابت للموس أن الشعب العراقي لم يكن في الانتخابات السابقة، جميعها، ولم يصبح الآن، مؤهلاً وقادراً على أن يفرض إرادته الحرة الوطنية الواعية وأن يحدث التغيير المطلوب. وقد يكون ذلك بسبب طبيعة تكوينه القومي والديني والطائفي الذي جعل منه شللاً متفرقة غير متألّفة، فليس ما يُفرح ابن النجف أو الناصرية هو نفسه الذي يشرح قلب مواطن الموصل والرمادي، وما يُحزن المواطن في أربيل لا يعني أحداً في وسط العراق ولا في جنوبه. وبرغم هذا الواقع التامري المؤسس على الشكوك والكراهية بين زعماء الفرق السياسية المتنافسة على النفوذ، فإن هناك تفاهماً ثابتاً وقويًا

على الحفاظ على جدران الإسمنت والحديد التي أقاموها حول البرلمان والحكومة، فلم يحترموا غيرها، ولا يسمحون لأحد من خارج الدائرة المغلقة باقتحامها. والذي يظن بأنه قادر على كسرهما بتقديم مرشحين معروفين بالنزاهة والخبرة والكفاءة وأهم ويُضيق وقته، ويبعثر جهده، دون طائل. فالنزاهة والخبرة والكفاءة هي التي تجعل الناخب العراقي يختار أصحابها ويدع أصحاب السلطة والمال والسلاح، أو يتمرد على فتوى مرجعية أو أوامر شيخ قبيلة. وبصراحة، لا بد من الاعتراف بأن العلة الحقيقية الوحيدة تكمن في الناخبين، قبل المرشحين. فجهل الكثيرين منهم وفقهم يفسران إمكانية سهولة خداعهم وتضليلهم وشراء أصواتهم. فالذي أصبح يملكه السياسيون الكبار المولكون المعتمدون من إيران والرجعية وأميركا وتركيا والسعودية وقطر وبريطانيا من المال والسلطة والسلاح لن يجعل مهمة التغيير ممكنة في المدى المنظور، خصوصاً وأن عودة إدارة جو بايدن إلى الاتفاق النووي الإيراني سوف تمنح الحرس الثوري وأحزابه ومليشياته العراقية المزيد من القوة والهيمنة والجبروت. فمسلحو فصائل الحشد الشعبي المرتبطة بإيران هم الضباط الكبار في الجيش وقوات الأمن، وهم المترعون، وهم الوزراء وكبار الموظفين في مجالات الخدمة المدنية، وهم المسؤولون التنفيذيون الأقوياء في قطاع التجارة والمصارف. كما أن شبيعة إيران وسنتها وكردها، رغم كل خلافاتهم وصرعاتهم على المكاسب والمناصب والرواتب، متفاهمون، ومتفقون على احترام

لو دققنا في نتائج انتخابات 2010 والتي قبلها 2005، لأصبح من الثابت أن الشعب العراقي لم يكن في الانتخابات السابقة، جميعها، ولم يصبح الآن، مؤهلاً وقادراً على أن يفرض إرادته الحرة وأن يحدث التغيير المطلوب

بالمقابل، كم من نائب (سابق) خسر مقعده لأنه تجرأ ذات مرة فعاب شيئاً على الزعيم، أو عارضه في شيء؟ إن فمّن الطبيعي والمنطقي أن كتلاً من هذا النوع، قادتها بهذه الأخلاق والمفاهيم والقيم والمقاييس، لن تكون في الحل ما دامت هي المشكلة، وليس منطقياً ولا معقولاً أن ينتظر أحد منها أن تتحلّى عن سلطانها بسهولة، وفي انتخابات شفافة ونزيهة وعادلة، حتى لو قتلت نصف المرشحين المعارضين ونصف الناخبين. ثم دون قضاء عادل ومستقل وعصيّ على عبث السياسيين لن يكون



المحاصرة الطائفية تعرقل آمال التغيير في العراق

العرب  
أول صحيفة عربية صدرت في لندن  
1977 أسسها  
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة  
رئيس التحرير المسؤول

د. هيثم الزبيدي  
رئيس التحرير والمدير العام  
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير  
مختار الدبائي  
كرم نعمة  
منى المحروقي

مدير النشر  
علي قاسم  
المدير الفني  
سعيدة يعقوبي

تصدر عن  
Al-Arab Publishing House  
المكتب الرئيسي (لندن)  
The Quadrant  
177 - 179 Hammersmith Road  
London, W6 8BS, UK  
Tel: (+44) 20 7602 3999  
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان  
Advertising Department  
Tel: +44 20 8742 9262  
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk  
editor@alarab.co.uk